الاتجاه الإسلامي في أدب "إبراهيم بوحميدة"
-كتاب الخواطر أنموذجا-

د. مصطفى حمّودة
سعاد بن ناصر
جامعة غرداية (الجزائر)
hammusdz@gmail.com
Souad89ben@gmail.com

Abstract

The Algerian South is rich of many litterateurs; what characterise and gather them mostly is the committed Islamic proclivity, this is due to their reformative Muslim grown-up, where a marked Islamic trend featured in their literatures. Among those litterateurs, there is "Ibrahim Bouhmida", where the Islamic proclivity showed up in most of his writings, but the most was in his book "Thoughts". This dissertation seeks to an idiomatic determination of the Islamic trend in literature as a whole, and then to the manifestations of that trend in his book "Thoughts" and its technical characteristics which come from the spirit of this trend.
Keywords: Islamic trend, Islamic Literature, Thought, "Ibrahim Bouhmida".

الملخص

يزخر الجنوب الجزائري بالعديد من الأدباء؛ وما يميزهم ويجمع بينهم غالبا النزعة الإسلامية الملتزمة، ويعود ذلك للنشأة الإصلاحية المسلمة لهؤلاء الأدباء، حيث تشكلت معالم اتجاه إسلامي ميز أدبهم، ومن هؤلاء الأديب "إبراهيم بوحميدة" حيث برزت النزعة الإسلامية في جل كتاباته لكنها كانت أكثر وضوحا في مؤلفه (خواطر)، وتسعى هذه الورقة البحثية إلى محاولة تحديد اصطلاحي للاتجاه الإسلامي في الأدب ككل، ثم إلى تجليات هذا الاتجاه في موضوعات خواطره وخصائصها الفنية النابعة من روح هذا الاتجاه.
الكلمات المفتاحية: الاتجاه الإسلامي، الأدب الإسلامي، الخاطرة، "إبراهيم بوحميدة".

المقدمة:

الإسلام منظومة متكاملة، ورؤية شمولية لمختلف جوانب الحياة والوجود، أنتجت لنا منهجا مميزا ينتهجه من تشبع بهذه الرؤية وتمثلها تمثلا فطريا صادقا، فكان من نتاج هذه الرؤية حضارة مشرقة شهد لها القاصي والداني بتفوقها، ومن هنا ظهرت فكرة الاتجاه الإسلامي في الأدب، والتي لم تكن نتاج صدام مع الحداثة في المرحلة الزمنية الأخيرة فحسب، وإنما هي رؤية انبعثت منذ بزوغ فجر هذا الدين واستقراره في صدور المؤمنين به.

إلا أن هذا الاتجاه الأصيل ظل رؤية خاصة بصنف من الأدباء والشعراء في كل مرحلة زمنية من التاريخ الإسلامي، ولم يجد العناية الكافية للتنظير له إلا في فترة متأخرة، ورغم تأخرها إلا أنها شهدت زخما هائلا في النصف الثاني من القرن العشرين حين طفت الحاجة الماسة لذلك في مواجهة موجات الحداثة الغربية العنيفة والتي حملت في بذورها حملة عنيفة واعية لتفتيت الهوية الإسلامية التصقت بالاستدمار الذي حل بالمدن العربية الإسلامية منذ أواسط القرن التاسع عشر.

ومن هذا التوجه برز الكثير من الشعراء والأدباء الذين كتبوا وألفوا في هذا الاتجاه حتى وإن لم يتسموا به صراحة، ومن هنا ترتأي هذه الدراسة البحث في ملامح هذا الاتجاه في أدب المربي والأديب الشيخ "إبراهيم بوحميدة" من خلال مؤلفه خواطر، والتي حملت بين ثناياها الروح الفنية الإسلامية.

فما هو مفهوم الاتجاه الإسلامي في الأدب؟ وما هي ملامحه الفنية في أدب الشيخ "إبراهيم بوحميدة"؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات استقرأنا كتابه (خواطر) وفق الخطة الآتية:

المبحث الأول: مهاد نظري

المطلب الأول: "إبراهيم بوحميدة" سيرة وحياة

المطلب الثاني: مفهوم الاتجاه الإسلامي

المبحث الثاني: ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب "إبراهيم بوحميدة"

المطلب الأول: الدراسة الموضوعية

المطلب الثاني: الدراسة الفنية

المقال:

المبحث الأول: مهاد نظري

المطلب الأول: "إبراهيم بوحميدة" سيرة وحياة

1_ إضاءة على حياة الشاعر:

هو إبراهيم بن زيان بن إسماعيل من أسرة هاشمية، ولد خلال 1919م ببلدية ضاية بن ضحوة شمال غرداية[1]، أخذ مبادئ اللغة العربية عن والده زيان وأخيه الأكبر إسماعيل، ثم أخذ عن الأستاذين "محمد الأخضر الفيلالي" و"محمد الصالح النفطاوي" علوم اللغة والفقه المالكي والفرنسية،[2] درس اللغة الفرنسية بإحدى المدارس الفرنسية أثناء الاستعمار كما حصل على الشهادة الابتدائية سنة 1932م ثم واصل دراسته، فباشر التعليم الحر طيلة 18 سنة، ومن بين المدارس التي عمل فيها: مدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة حيث تولى إدارتها بين سنتين 1950 و1952م[3]، ثم قدم استقالته بعد ذلك، وبعد الاستقلال في السنة التي أصدر فيها الرئيس بن بلة قرار الإدماج في التعليم الرسمي، شارك الأستاذ "إبراهيم بوحميدة" في امتحان إثبات المستوى، وفاز فيه فوزا باهرا عين بعده في التعليم الثانوي كما عمل بمعهد الحراش ثم في ثانوية "عقبة بن نافع" بالعاصمة لمدة 9 سنوات، ثم عاد لمسقط رأسه غرداية وعمل بعد ذلك في ثانوية "محمد الأخضر الفيلالي".

وإضافة لكونه أستاذا بارعا فلقد كان له الدور الكبير في العمل الثوري، وذلك في صدقه وإخلاصه غيرته الشديدة على وطنه، ومشاركته الفعالة في الحرب التحريرية من 1955/1/1 إلى 1962م[4]، إذ كان عضوا في لجنة مراقبة ملفات الثورة تحت اسم (سليم)، كما كان الأستاذ خطيبا في مظاهرات 11 ديسمبر ولم يخف من المستعمر لأنه سعى لتحقيق واجبه نحو وطنه، هذا الواجب النابع من قلب مؤمن وقناعة تمتد

أوامرها من كتاب الله وفهم يهتم بالقضايا القومية السياسية وأبعادها الاجتماعية من استبداد الحكام، وثورات الحرير والحث على مواصلة النضال والتغني بالحرية وتمجيد الأبطال، فالقومية العربية في حد ذاتها رسالة نابعة من وجدان أمة، ولذلك فلابد من إقامة حدود للاستقلال الذي كان الأستاذ يؤمن به، توفي الأديب إبراهيم أبو حميدة في 22 أكتوبر 2014.

2_ موهبته الأدبية وآثاره:

وقد عُرف الأستاذ "إبراهيم أبو حميدة" بتمسكه بدينه وأخلاقه الكريمة وحبه الكبير لوطنه، فقد حفظ القرآن الكريم في صباه، حرر مقالات في جرائد مثل (الإصلاح)، (المنبر)، و(الشعب)، كما كتب مقالات صدرت بمجلات (الجيش)، (الشعب)، (المجاهد)، فحبه للوطن والأدب وللفن عموما جعله يعمل و يكد و بكل ما أتيح له; وقد كرس كل وقته لذلك وواصل على هذا المنوال، بعد الاستقلال أسس مجلة حملت اسم (الضاية) والتي من خلالها يتم نشر كل الأنشطة المتنوعة أسبوعيا.[5]

وقد ترك الأديب عدة آثار كانت شاهدة على موهبته وإبداعه والتي كانت في مجالات متنوعة، فقد كتب في النحو والصرف والبلاغة والخواطر والوعظ والترسل والقصة والتعبير، والتي كانت بهذه العناوين:

- **الكتب:**[6]

1- الفصيح في المراسلة.
2- القواعد الميسرة في الصرف والنحو.
3- المفيد في البلاغة.
4- تعابير وترجمة من الفرنسية والعربية.
5- خواطر.
6- رشفات.
7- متى تتجاوز الغرائز.

- **المقالات:**[7]

1- كي لا تبقى حبرا على ورق.
2- العلماء مصابيح الأمة.
3- اليوم الخالد.
4- اعتزاز.
5- انطباعات حرة.
6- إذا توفرت الإرادة وصحت العزيمة.
7- من الصميم.
8- تحفة !
9- من أنت ؟
10- عرب وإن أبوا !

المطلب الثاني: مفهوم الاتجاه الإسلامي

يحسن بنا قبل الولوج إلى تفصيل الاتجاه الإسلامي في أدب "إبراهيم بوحميدة" أن نذكر شيئا مما تدعو إليه الحاجة فيما يتصل بمفهوم الاتجاه، والإسلام ليكون بمثابة توطئة يسيرة لما بعده.

أولا: الاتجاه

الاتجاه لغة: الناحية والمقصد، والواجهة: المقابلة، وقعدت وجاهك ووجاهك: أي قابلتك، واتجه له رأى: سنح.[8] من خلال التعريف اللغوي يتضح لنا أن الاتجاه هو: الطريقة التي يرسمها الإنسان لنفسه، أو الخطة التي ينتهجها في حياته ويسير عليها.

ثانيا: الإسلام

والإسلام عرفه المولى –سبحانه وتعالى– في قوله: «فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن»[9]. وفي الصحيح عن عمر –رضي الله عنه– أن رسول

الله –ﷺ– قال: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»[10].

وهذا جواب النبي –ﷺ– لجبرائيل –عليه السلام– لما سأله عن الإسلام، فهذا تفسير للإسلام بأركانه، والإسلام أعم: يشمل كل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، كما قال الله تعالى: «إن الدين عند الله الإسلام»[11].

فهو الامتثال والانقياد وإظهار الخضوع والقبول لكل ما أمر الله به ورسوله –صلى الله عليه وسلم– وما علم من الدين بالضرورة.

ثالثا: الإسلامي

ومعنى الإسلامي بزيادة ياء النسب: الانتساب إلى الإسلام، والانتماء إليه عقيدة وشريعة وأخلاقا وسلوكا، والدعوة إليه، والدفاع عنه.

مفهوم الاتجاه الإسلامي: وبناء على ما سبق يتضح لنا أن الاتجاه الإسلامي هو:

المنهج أو الخطة التي ينتهجها الأديب لذاته ويسير وفقها في كل أدبه من شعر ونثر، للدفاع عن مبادئ وقيم الوحدة الإسلامية، واستنفار الهمم في نفوس أفراد المجتمع المسلم للدفاع عن مقدساته من كل دخيل وعابث.

مفهوم الأدب الإسلامي:

إن التوجه الإسلامي للأدب ليس وليد الدراسات النقدية الحديثة وإنما ارتبط بتاريخ الإسلام منذ عصوره الأولى، ففي عهد النبوة، ظهرت الخصائص الإسلامية في الأدب عن طريق توجيهات النبي –ﷺ– للشعراء، ومن خلال تعاليم القرآن الذي حمل رسالة توجيه هذا الأدب من خلال قوله تعالى: «والشعراء ،،،، ذكروا الله كثيرا»[12].

وهكذا حمل الأدب رسالة هذا الدين، بل قاوم ونافح عن العقيدة معلنا تصورها لله والكون والإنسان، فارتفعت منزلة الأدب إلى ذروة الشرف وقمة التكريم، حين حمل البيان رسالة الله إلى الناس قرآنا معجزا، وآيات بينات ووحيا يتنزل من السماء، ليمثل أعلى مستوى للبيان والأدب، والتعبير والصورة والفكر والتصوير، ليظهر

حياة الإنسان كلها عبر العصور، ويكون آية الأزمان وإعجاز العصور، وظل الأدب العربي بين مد وجزر، يرتمي في حضن العقيدة أحيانا وينزاح عنها أحيانا أخرى، وتؤثر فيه الهزات التي تعرضت للأمة، فنراه أدب للمجالس والطرب ونلفيه أدب لمجالس التذكير والوعظ، يرنو إلى نور الخلاص الإنساني، ويتعثر بأوحال مادية الإنسان والحضارة، لكن رسالته ظلت دائما تحمل تباشير الحلم بعودة الإنسان إلى إنسانيته، وتلكم رسالة الأدب في إنسانيته وإسلاميته، في شموليته وعالميته[13].

فسمات الأدب الإسلامي –حسب الكيلاني–: «سمات إنسانية عالمية ترتبط بالنفس الممتزجة بموضوعات الوحي والمبادئ الدينية القومية وإن هذا الشمول والعموم يجعل العالمية أقرب إلى الكمال وأدعى إلى الإتباع والاعتناق»[14].

فن الخاطرة:

لغة: ورد في لسان العرب: «خطر: الخاطر: ما يخطر في القلب من تدبير أو أمر. ابن سيده: الخاطر الهاجس، والجمع الخواطر، وقد خطر بباله وعليه يخطر ويخطر، بالضم، الأخيرة عن ابن جني، خطورا إذا ذكره بعد نسيان. والخطرة: أغصان الشجرة، واحدتها خطر، نادر أو على توهم طرح الهاء. والخطر، بالكسر: نبات يجعل ورقه في الخضاب الأسود: يختضب به; قال أبو حنيفة: هو شبيه بالكتم».[15]

فالخاطرة لغة تتعلق بالقلبيات وما خفي واستتر، كما تعني الشيء النادر.

اصطلاحا: الخاطرة فن نثري كالمقالة والرسالة، غير أنها لها خصوصيتها الفنية التي تميزها عنهما فهي نثر أدبي تنظم فيه الكلمات وترصف ببلاغة وفنية بالغة؛ وقد نشأت الخاطرة في أدبنا العربي الحديث مواكبة لفن المقال نمت وترعرعت تحت ظله، ويفرق "عز الدين إسماعيل" بينهما في عدة خصائص، يلخصها كالآتي[16]:

1- الخاطرة ليست فكرة ناضجة وليدة زمن بعيد، ولكنها فكرة عارضة طارئة.

2- ليست فكرة تعرض من كل الوجوه بل هي مجرد لمحة.

3- ليست كالمقالة مجالا للأخذ والرد، ولا تحتاج إلى الأسانيد والحجج القوية لإثبات صدقها، بل هي أقرب إلى الطابع الغنائي.

4- الخاطرة أقصر من المقال، وهي لا تجاوز كثيرا نصف عمود من الصحيفة، وعمودا من المجلة.

على هذا فالخاطرة هي تعبير عن مكنونات الأديب وما يشغل فكره، تتسم بالحرية في التعبير، وبطابعها الشخصي حيث تختلف باختلاف شخصية الأديب وباختلاف توجهه الفكري والأدبي، حيث تحتاج -كما يرى "عز الدين إسماعيل"-«إلى الذكاء، وقوة الملاحظة، ويقظة الوجدان، وهو يتمشى مع الطابع الصحفي العام في الاهتمام بالأشياء الصغيرة السريعة وتفضيلها على الكتابات المطولة، وأهميتها تأتي من أنها تستطيع لفت القارئ إلى الأشياء الصغيرة في الحياة، التي لها دلالة كبيرة»[17]، والطابع الصحفي للخاطرة لا يبتعد عن شخصية الأديب الذي عرف صحفيا يكتب المقالات والخواطر في مجلات مختلفة قبل الاستقلال وبعده.

المبحث الثاني: ملامح الاتجاه الإسلامي في أدب "إبراهيم بوحميدة"

أشرنا -فيما سبق- إلى أن الشيخ "إبراهيم بوحميدة" قد حفظ قدرا كبيرا من القرآن الكريم، وأنه قد أعجب بدعوة الإصلاح، فانظم إليها عن اقتناع، وإيمان.

ولذا فلا غرابة أن نرى الروح الإسلامية، تسري في أعماله الأدبية والعلمية كلها، ولأن بحثنا هذا يختص بدراسة اتجاهه الإسلامي، في أعماله النثرية الأدبية، وفن الخاطرة على الخصوص، فإن من المناسب أن نشير إلى أن الاتجاه الإسلامي لديه، ليس وقفا على فن الخاطرة، ولكنه يبدو في نتاجه كله، فقد رأينا نتاجه الأدبي في كتابة الأرجوزة وفن الترسل...إلخ.

ويبرز مفهومه للأدب الإسلامي من خلال مقولته المكتوبة على ظهر الكتاب حيث يقول: «أيها القارئ الكريم، لا شك أنك تدرك مدى احتياج من تقل تجربته وتضيق آفاق خبرته بأحوال الحياة، إلى من يأخذ بيده ويهديه إلى سبيل الرشاد، لأنه

يعيش في مجتمع لا تكتمل صفاته، ولا تتجلى فضائله إلا إذا تبلورت فيه الآراء وتضافرت فيه الجهود وتعانقت المواهب، وهو كفرد لا يستطيع أبدا أن يحقق بمفرده كل ما يصبو إليه ويتمناه وإن قل، مهما أوتي من ذكاء وقوة وقد يتوفر لديه ما يرضيه من الأمور المادية كالمال والمتاع، لكنها دائما تفتقر إلى شيء غير المادة لصيانتها مما عسى أن ينجم عنها من تدهور وفساد، وهل هو إلا ذلك الشعاع اللامع الذي ينبثق من تلك الأذهان الملهمة التي أرادها الله لإنارة البصائر المظلمة وفتح العقول المقفلة، رحمة منه وفضلا»[18].

فهذه المقدمة تبرز لنا الخلفية والأساس لمنهج الأديب الأدبي، فيخبر أن هذه الخواطر هي مساعدة للفرد المسلم في إرشاده لسبيل الخير والصلاح، مؤكدا أن لا سبيل لصلاح الفرد دون تكافل وتعاون من غيره، فهو لا يستغني عن غيره مهما بلغ من العلم، وهذه المعاني هي من أسس الرؤية الإسلامية للحياة والمجتمع.

كما تبرز تلك الرؤية في إهداء الكتاب حيث يقول: «إلى الذين يقدرون الأعمال، ولا يوفون بما تستحقه من ثناء وتشجيع إلى الذين تهزهم الكلمة الصادقة والنصيحة الأمينة من أي مصدر كانت.. إلى الذين لا تصرفهم المادة العفنة عما يزكي نفوسهم ويصقل مداركهم إلى هؤلاء جميعا أهدي كتابي هذا...»[19].

فمقومات الفرد والمجتمع المسلم هي العمل والصدق والنصيحة والأمانة والعلم التي أشار إليها الكاتب في إهدائه حيث أشار إلى محوري الخير والشر، محور العلم والجهل ... إلخ.

المطلب الأول: الدراسة الموضوعية

الأدب الإسلامي معين لا ينضب، تعددت مصادره، فتعددت –بناء على ذلك– موضوعاته، وبقدر ما اتسع مفهوم الأدب الإسلامي، اتسعت مواضيعه فكانت معبرة عن مختلف جوانب الحياة الإنسانية، وإذا كان الإسلام عقيدة وعبادة ومنهج حياة

متكاملا، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وأخلاقيا، فإن النتاج الشعري الذي دار في فلك الإسلام كان أيضا – يمس جوانب الحياة الإنسانية المختلفة.

ويمكننا أن نجمل أهم الموضوعات التي عالجها فن الخاطرة عند الأديب "إبراهيم بوحميدة" في هذا الاتجاه الإسلامي فيما يلي:

أولا: العقيدة الإسلامية

جوهر العقيدة الإسلامية يبرز في سلامة أقوال الإنسان وأفعاله، وخلوصها من كل إشراك وزيغ، وقد كانت هذه العقيدة الأساس المتين التي انطلق منها الأديب في كتابة خواطره، فأغلب خواطره تنطلق في تأسيس أفكارها ومحاورها من فهم صحيح للعقيدة الإسلامية ولوازم الانتماء إليها والتماهي فيها حيث يقول في خاطرة (الضمير الإنساني): «إن للضمير أسبابا ترجع إلى أمور عديدة، هي العقيدة ... نقصد بها ذلك الإيمان القوي الذي يغمر قلب الإنسان المتدين والذي يجعل منه شخصا كاملا يعرف ما له وما عليه، ولا يسعى مطلقا إلى ما يجر له الندم»[20]، كما نجد الخاطرة المعنونة بـ: (الدين والمجتمع)، حيث يقول: «كل هذه الأديان المزعومة لا يستمد منها إعداد المجتمع خلقيا، بحيث تتوفر فيه كل عوامل المجادة والنبل إن الإسلام وحده كفيل بذلك، إنه دين محمد (ص)، وحسبنا منه أنه دين مبادئ ومثل عليا..»[21].

ثانيا: الوعظ والأخلاق والتربية

كان لموضوع الوعظ وقيمة الأخلاق نصيب الأسد في خواطر الأديب "إبراهيم بوحميدة" فأغلب وجل خواطره تقوم على الوعظ والإرشاد والإشادة بقيمة الأخلاق الحسنة، وبيان عاقبة سوء الخلق، فلا تخلو خاطرة من بيان ذلك مستعملا كل ما يساعده في إيصال رسالته من وعظ وقصص وغيرها، فأول خاطرة كانت معنونة بـ (الإنسان والأخلاق)، فلعل سر تقديم هذه الخاطرة على غيرها لما يراه الأديب من أن حسن الخلق يأتي في أولى المراتب بعد سلامة العقيدة، حيث يعرف الأخلاق بقوله: «إن الأخلاق عبارة عن مجموعة من الصفات التي يتصف بها المرء بأسباب أو

بأخرى، وتنقسم الأخلاق إلى نوعين: أخلاق حسنة وأخلاق سيئة، وهما ضدان لا يجتمعان»[22]، كما وجدنا ما يتصل بعنوان الأخلاق عناوين خواطر تنتمي لهذا الحقل من ذلك: (آثار المعاملة، سر الاعتراف بالجميل، فضل الأمانة، انتقاء الأصدقاء..إلخ)، وكل هذه الفضائل إنما يرى الأديب أنها ترسخ عن طريق التربية والتعليم فإن لم تتبناها الأنظمة والمجتمع والأسرة فلا قيمة للحديث عنها، ويضرب لذلك عديد الأمثلة والحكايات الواقعية والقصص، ويؤكد على دور الوالدين في ترسيخ الخلق الحسن ونفي السيئ عن طريق القدوة، ويأتي المعلم في الدرجة الثانية بعد الوالدين في تربية النشء حسب رأي الأديب، فالمعلم إن لم يكن مربيا أولا فلا قيمة للعلم الذي يلقنه للطلاب، كما يجعل للأنظمة والدولة نصيبا من المسؤولية في ذلك، عن طريق إطلاق المبادرات والتحفيز والتشجيع، وتفعيل القوانين الصارمة لذلك.

ثالثا: العلم والعمل والمجتمع والوطن

لا يخفى على المرء ارتباط هذه المحاور ببعضها البعض وشدة ائتلافها، لذا فهي تتكرر كثيرا في عناوين وثنايا خواطر الأديب "إبراهيم بوحميدة"، فقوام كل مجتمع وأسس ازدهاره هي العلم والعمل بهذا العلم، وليس كل علم يسمو بالمجتمع، وإنما الأساس هو العلم الرباني قبل العلم المادي، حيث لا غنى للمجتمع عن كليهما، وهذه المعان تتردد كثيرا في خواطر الأديب، ما يؤكد همه وانشغاله بقضية مجتمعه وأمته الإسلامية، وسعيه لصلاحها ورقيها وازدهارها، ومن العناوين التي في هذا المجال نذكر: (العمل والمجتمع، العلم ومظاهره، حقيقة الحرية، الدين والمجتمع، مزايا العدل، علو الهمة)، ومن أقواله التي تدل على ذلك نذكر: «العمل أساس العمران، وبدونه تتقرض أركانه وكان ما لا يستحسن وقوعه ولا تحمد عقباه وأنه متى لقي الأدمغة المفكرة والقلوب الواعية والسواعد القوية مع الحزم الدائم والعزيمة الصارمة عم نفعه وعادت نتائجه بالخير والبركة وعلى قدر الأعمال يعتبر المرء وتعلو منزلته بين الناس»[23].

كما يقول في موضع آخر رابطا بين الوطنية والعمل: «والذي يتفهم معنى الوطنية وما تتطلبه من تضحيات جسام، لا ترضيه من عمره لحظة لا يشغلها تفكير بناء أو عمل مفيد والذي يعنيه من أمر مواطنيه كل شيء يجلب لهم الأمن والاطمئنان، يعمل ويود لو تكون له قوة ألف رجل، ليقدم لهم من نتائج عمله ما يسرهم ويحقق آمالهم، ولكن وا أسفاه، إن الدهر لا يجود إلا نادرا بمن تلاحظ عليهم مثل هذه الشيمة المحبذة، بل يضن حتى بالقليل منهم أحيانا فلا ترى بدا من الاعتقاد بأن الإخلاص أضحى ضربا من ضروب الخيال، أو أسطورة من أساطير الأولين»[24]، فننظر كيف أن الأديب يربط بين محاور العمل والعلم والوطنية وحسن الخلق في سبيل غاية واحدة موحدة ألا وهي صلاح الفرد والرقي بالمجتمع المسلم.

كما وجدت محاور أخرى فكرية فلسفية إنسانية، حيث تحدث الأديب في خواطره مواضيع مثل الشخصية والحرية والسعادة والصداقة، ولكنه يصبغ عليها دائما الصبغة الإسلامية، كل ذلك يدل على الاتجاه الإسلامي الذي رسمه الأديب لنفسه وانتهجه في كتاباته.

المطلب الثاني: الدراسة الفنية

تظهر عقلية الإنسان وفكره من لفظه وبيانه حيث تنعكس فيها أخلاقه وطبائعه، ومن هنا «فالأديب ذو التوجه الإسلامي يلتزم بإقامة صياغته الفنية على العفة في اختيار ألفاظه؛ لأن ألفاظ اللغة أي لغة لا تصلح بالضرورة لكل موقف، وفي كل حالة»[25]، وعلى ذلك «فالأديب ذو التوجه الإسلامي هو الذي يحرص على الكلمة الطيبة، بل يتوجه إليها فطريا في صياغته الأدبية، فلا مكان في أدبه للكلمة الخبيثة»[26]، وبناء على ذلك فهو يتخير من الأساليب ما يتناسب مع متلقيه في سمو وإبداع؛ ليحدث التأثير المطلوب.

وإذا كانت حرية الأديب تستلزم اختلاف البنيات التعبيرية والأساليب الفنية انطلاقا من اختلاف التفاعل الفني عند الكاتب لما يتطلبه الموضوع من طرق

توصيفية تبسط الموضوع وتنقل ماهيته إلى المتلقي، فهي ليست حرية مطلقة ولكنها «حرية محدودة بأطر فنية، وواقعية، واجتماعية، ودينية، وفطرية، لا مفر من الالتزام بها وعدم الخروج عليها»[27].

والمتأمل لخواطر "إبراهيم بوحميدة" يلاحظ أنه يتناول في معالجة موضوعاته الأساليب البيانية المختلفة مستجيبا في ذلك لما يتطلبه الموضوع، وشعوره تجاهه، وملتزما بالأطر الفنية، والإسلامية، والاجتماعية، والفطرية دون تكلّف أو اعتمال.

أولا: الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف وأثر السلف والشعر والحكمة

حيث تمثل هذه الثلاثية هرم خواطره، فلا تكاد تخلوا خاطرة من الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، بيد أن الاستشهاد من الحديث النبوي أكثر ترددا في خواطره فلا تخلوا خاطرة منه بل أكثر من ذلك أن نجد في الخاطرة أكثر من حديث نبوي، وفي هذا دلالة على اتخاذ الأديب من المنهج النبوي في الوعظ والإرشاد والإصلاح والتربية أسوة له.

فغالبا ما يورد الآية القرآنية ويليها الحديث النبوي، حيث يقول في خاطرة (الأخوة ومتطلباتها): «وفي هذه الحالة المشرفة توثق أواصر الأخوة بينهم وبين من يعاشرهم أو يجاورهم، ويحق عليهم جميعا قول الله جل شأنه وتسامت حكمته: <<إنما المؤمنون إخوة>> وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: <<مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الأعضاء بالسهر والحمى>>»[28].

وما يلاحظ على استشهادات الأديب "إبراهيم بوحميدة" القرآنية والحديثية أنها من النصوص المتداولة والمألوفة بالنسبة للمتلقي، ويعود ذلك ربما لكونه كان معلما وأستاذا، وسلوكه مسار الوضوح والسهولة والابتعاد عن التعقيد والتشدق مسلكا تعليميا بامتياز، فهي استشهادات قريبة من فهم ووعي النشء والقارئ البسيط، لأن موضوعاتها تدور في الغالب حول الوعظ والإرشاد والإصلاح.

ومن نماذج استشهاده بالشعر العربي قوله في خاطرة (الغنى ومقاصده): «كما أن الإنسان إذا علم أن له عقلا هو من أكبر نعم الله عليه، لا يرضى بعقله بديلا ... والمال على حبه يُصرف بلا حساب، إذا أصاب الجسم أقل ضرر، وأن أبخل بخيل يهون لديه المال في سبيل صحته الغالية.

إذن لماذا نشكو الفقر وقد * رزقنا الله الصحة والعافية**

إن القليل من المال، مع حسن التصرف، كفيل بإسعاد المرء وراحته، وما في الزيادة إلا اشتغال البال وكثرة المشاكل ولربما كانت شبيهة بالفقر إن لم تكن فقرا صريحا، كما قال الشاعر العربي:

غنى المال ما يكفيك من شد خلّة * فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا»[29].**

ونلاحظ على هذين الشاهدين الشعريين أن الشاعر يؤثر السهولة والبساطة فالبيت الأول كأنه نثر من عادية ألفاظه، ونلحظ أيضا إيثار الشاعر المنطق والعقل العلمي[30] حتى في شواهده وهو ما يبرز في البيت الثاني باستعمال أسلوب الشرط، والملاحظ أيضا على البيتين وكثير من الأبيات الواردة في الخواطر أن الأديب لا ينسبها لأصحابها وهو ما يدل على اعتماده على حفظه وذاكرته في التأليف والكتابة لا على الاقتباس من الكتب وأن هذه الخواطر هي عصارة فكره.

وما يعضد الرؤية والاتجاه الإسلامي في أدب "إبراهيم بوحميدة" استشهاده بأقوال الصحابة الكرام والسلف الصالح، وهي كثيرة تأتي غالبا بعد الاستشهاد بالمصدرين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومن ذلك قوله في خاطرة (دواعي السعادة!) وهو يضرب مثال لنموذجين من الرجال أحدهم فقيرا والآخر غنيا يشكو المرض: «لا يرى سعادته إلا في الغنى وما عداه لا طائل من ورائه، وإذا نال الفقر منه هذا المنال من المقت، فقد قال عنه "الإمام علي" قديما: <لو كان الفقر رجلا لقتلته>»[31].

ثانيا: أسلوب الحكي (القصّ)

كانت ولا تزال القصة والحكاية الفن الرائج منذ القدم في جل الميثيولوجيات والثقافات باعتبارها مسلكا لتأدية أغراض عديدة في قالب فني واحد، وهي من الأساليب التي تعتمد في الأدب الإسلامي، كونها أسلوب وُجِدَ في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لأجل الموعظة والاعتبار، وهي أسلوب تعليمي مبطن بالإشارات التربوية والخلقية والدينية، لذا ليس من الغريب أن تتواتر في خواطر الأديب "إبراهيم بوحميدة" الذي سعى من خلالها خواطره للإرشاد والتوجيه، فلا تكاد تخلو خاطرة من هذا الفن، والتي تتنوع بحسب مصادرها وطولها وقصرها، فهو يستقي جل قصصه وحكاياته من واقعه المعاش ومن حوادث عايشها في الماضي، كونه عاش حياة ثرية بالنشاط والتنقل بين العاصمة وغرداية، فهي حكايات من واقع عمله كأستاذ تدور غالبا بين الأستاذ وتلاميذه من النشء أو بين الأستاذ وزملائه أو بين الأستاذ وبقية أفراد مجتمعه ونورد مثالا لذلك: «يحكى أن أستاذا لاحظ على تلميذ له نوعا من الانحراف الخلقي مع أن له أبا من أحسن الرجال وأفضلهم. فاحتار في أمره، وجعل يبحث عن سبب هذا الانحراف، وما هي إلا بضعة أيام حتى تبين أن للتلميذ أما تحنو عليه إلى حد أنها لا تعاكسه في شيء يريده، ولا ترضى من أحد أن يغضبه ولو كان أباه وهكذا أضحى الأب المسكين بين نارين، نار المعاملة السيئة إن رام إصلاح ولده، ونار الغيظ إذا شاهد أولاده يفسدون إن يغدون ضحايا الجهل والأنانية والعناد»[32]، ومصدر آخر لحكاياته أو الذاكرة التراثية الشعبية حيث تشهد حكاياته على غنى هذه الثروة في فكر الشيخ[33]، بالإضافة إلى القصص المستلهمة من القرآن الكريم ومن السيرة النبوية.

ثالثا: المحسنات البديعية والبيانية

الترصيف بالمحسنات البديعية من سمات الخاطرة في العصر الحديث، فيراها "عز الدين إسماعيل" ذات طابع غنائي لذا تُعنى بجمالية اللفظ إلى جانب فرادة المعنى، كونها خواطر تنبع من قلب صاحبها ومن مكنوناته، وتتواتر هذه المحسنات في أشكال متنوعة وأبرزها إطلاقا:

1_ الطباق والمقابلة: فالأديب يكثر منها بصفة ملفتة، مثل: (حسنة # سيئة، الخير # الشر، الغنى # الفقر، الصحة # المرض، النزاهة # الانحياز، العدل # الظلم)، (طيبة حميدة # دنيئة مقيتة)، والمقابلة مثل: (فإن شاءت أصلحته فيصبح فتى صالحا مفيدا # وإن شاءت أفسدته فلن ترى منه إلا شريرا)، على أن الطباق يتواتر أكثر من المقابلة للابتعاد عن التكلف، وولع الأديب بهذه الآلية لأنها تسعفه في إيصال أفكاره وتقريب المعنى من المتلقي، والملاحظ لهذه الثنائيات المتناقضة أنها تدور حول محاور موضوعية كبرى يعرف بها الأدب الإسلامي في فنونه المختلفة من شعر ونثر، مثل: الخير والشر، العدل والظلم...إلخ.

2_ السجع: يرد هذا الفن في خواطر الأديب لكنها تقل في الكثرة عن الطباق والمقابلة، وهي من آثار النبرة الخطابية التي تبرز في الأدب التقليدي الحديث، مثل قوله: «لاسيما إذا كان في ظروفه المناسبة أو في مناسبته المواتية، حيث يجد له آذانا صاغية وقلوبا واعية»[34].

3_ التشبيه: والتصوير من أبرز ما يميز الأدب بكل فنونه، وتنوعت أنماطه في خواطر الأديب بين التشبيه العادي والتشبيه البليغ والاستعارات، وهي أداته في تقريب المعنى من القارئ وإثارة عاطفته الإيمانية والفكرية، ولا يتسع المقام لإيراد كل الأمثلة، فنكتفي بقوله: «لقد كتب الكثير عن الأخلاق، ولكم كسرت أقلام من أجلها»[35].

الخاتمة:

عاش الأديب "إبراهيم بوحميدة" حياة خصبة عامرة بالتجارب، فامتزجت في ذاته وشكلت أدبا مميزا، أتقنه بحكمته، فرأينا فيه متعة الأدب وجمال الحياة القويمة على الهدي المستقيم، بفكر نير واطلاع شاسع وحس متيقظ، استوعب الماضي الإسلامي بمبادئه الصحيحة والحاضر بثقافته وتياراته المختلفة، فكان أن أنتج أدبا جمع بين الأصالة والمعاصرة، يستضيء به رواد الإصلاح والإرشاد في الماضي

والحاضر، وقد حاول البحث الكشف عن بعض ملامح الاتجاه الإسلامي في أدبه؛ فن الخاطرة على التحديد، وخرج بالنتائج الآتية:

- كشف البحث عن شخصية هذا الأديب الذي حمل هم أمته وصلاحها، فظهر أن حياته كانت مليئة بالتجارب الإنسانية التي صقلت تجربته الفكرية والأدبية، حيث تنقل بين الأماكن والمهام والأعمال، ما وسع أفق مداركه ونظرته الثاقبة في شؤون المجتمع وسبل الرقي به، وقد ظهرت نتيجة ذلك في خواطره التي كانت غنية بالحكمة والنادرة والرأي المعتدل والمنهج المستقيم.
- الأدب الإسلامي أدب يولي للفن والجمال والفكرة قدرا متساويا من الاهتمام والعناية، فلا فن جميل دون رسالة هادفة، ولا رسالة هادفة دون وضعها في قالب فني، يجعل من القارئ مقبلا عليها.
- رأينا في خواطر "بوحميدة" روحا إسلامية متقدة، بغزارة توجيهات ولمحات إيمانية، تبرز في كلماته وصوره ومعانيه، ومدارسته الواعية للواقع في المجتمع المسلم الجزائري، أضفت حركية وحياة في سبيل بناء الهرم القيمي، وتصحيح الفكر، وتقويم السلوك، والإحساس بالجمال، ليكون ذلك ردا على من ينفي جمالية الأدب الإسلامي وشبهة خلوه من جمال الشكل والمضمون.
- تجلى التزام الأديب "بوحميدة" الإسلامي في مصادر تناصه واقتباساته التي كان للمصدرين –القرآن الكريم والحديث الشريف– الجانب الأكبر فيها، كما برز في أسلوبه وألفاظه واعتدال رؤيته حيث دارت مواضيعه على محاور كبرى تتواتر في الأدب الإسلامي وعلى ثنائيات هي من أخص خصائصه، ففي خواطره نستشف رؤيته الإسلامي الصافية والشاملة التي لا تقبل الانقسام أو التنازل.

- تتسم أدبية الخواطر عنده بأسلوب متين، فما إن يوجه اهتمامه بموضوع مهما كان بسيطا، حتى يرسم لنا مساراته الصحيحة والمعاكسة ويخرج برؤية شاملة لها تأثير على القارئ فكرا وفنا.
- أحسن الأديب في خواطره توظيف معارفه الثقافية والدينية، وتجاربه الحياتية، وطاقاته الإيمانية والنفسية في إبراز جمال العيش في ظلال الإسلام الصحيح، وكمال منهجه، وعظمة تاريخه، وثراء مصادره.

اتجاه الأديب "إبراهيم بوحميدة" الإسلامي في أدبه كان استجابة لعواطفه الصادقة ولذاته الممتلئة بعظمة الإسلام، وإحساسه العميق بقيمه، وكان تلبية لحاجة مجتمعه إلى تثبيت القيم وبناء صرحها، وتنمية الوعي الإسلامي وارتقائه، لأجل الصمود والثبات في وجه حملات التغريب الشرسة، والحوادث التي زلزلت كيان وثوابت الأمة الإسلامية، فأمتنا الإسلامية في العصر الحاضر أحوج ما تحتاج لمثل هذا العلامة الذي سخر قلمه وفكره للإصلاح ما استطاع.

الحواشي:

[1] منقول عن صفحة فيسبوك الأديب بوحميدة إبراهيم:
https://www.facebook.com/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D9%8A%D8%A8%D8%A8%D9%88%D8%AD%D9%85%D9%8A%D8%AF%D8%A9%D8%A7%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85-807713242672806/

[2] نفسه.

[3] Fettouma Attouchi, En toutes Lettres Ibrahim Bouhamida L'ecriture Cette Necessite, Journal L'horizon, 1988.

[4] صفحة فيسبوك الأديب بوحميدة إبراهيم.

[5] Fettouma Attouchi, En toutes Lettres Ibrahim Bouhamida L'ecriture Cette Necessite, Journal L'horizon, 1988.

[6] موجودة على موقع جوجل درايف:
https://drive.google.com/drive/folders/1KVRpoRPmMF2zxR5wzHCPkwc_-w8zHrck

[7] موجودة على موقع جوجل درايف:

https://drive.google.com/drive/folders/1SIvNnktrIq2t6BEcS0wE1yiiLgLO_HFZ

[8] الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (وجه)، دار الفكر العربي، بيروت، دط، 1988م.

[9] آل عمران، الآية 20.

[10] جزء من حديث قصة جبريل –عليه السلام– الطويل الشهير في سؤاله للنبي –ﷺ– عن الإسلام والإيمان والإحسان، وعلامات الساعة، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم وهو المسند الصحيح، مج1، تح: دار التأصيل، دار الحديث النبوي، ط1، 2014، ص353.

[11] آل عمران، الآية 19.

[12] الشعراء، الآيات 224–227.

[13] ينظر: عدنان رضا النحوي، الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، دار النحوي للنشر والتوزيع، ط2، 1407هـ–1987م، ص24.

[14] نجيب الكيلاني، الإسلامية والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1985، ص69.

[15] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2003، مادة (خطر)، ص 100.

[16] عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، دار الفكر العربي، القاهرة–مصر، ط2013، ص168.

[17] المرجع السابق، ص168.

[18] إبراهيم أبو حميدة، خواطر، مؤسسة الضحى، دط، 1999، ص120.

[19] نفسه ص4.

[20] إبراهيم أبو حميدة، خواطر، ص13–14.

[21] نفسه، ص78.

[22] نفسه، ص7–8.

[23] إبراهيم أبو حميدة، خواطر، ص30.

[24] نفسه، ص27.

[25] إبراهيم عوضين، في النقد الأدبي الإسلامي، مطبعة الشناوي، دط، 1993م، ص198.

[26] إبراهيم أبو حميدة، خواطر، ص198.

[27] إبراهيم عوضين، في الأدب العربي المعاصر، مطبعة السعادة، القاهرة–مصر، ط2، 1997م، ص206.

[28] إبراهيم أبو حميدة، خواطر، ص59.

[29] إبراهيم أبو حميدة، خواطر، ص66.

[30] وما يعضد هذا الأسلوب في خواطره آلية ضرب المثال للتوضيح، مثلما نجد في ص8 من الكتاب.

[31] نفسه، ص106.

[32] نفسه، ص12.

[33] ينظر إلى خاطرة الضمير الإنساني وحكاية الفتى الأمين الذي عمل عند التاجر، ص14.

[34] نفسه، ص7.

[35] نفسه، الصفحة نفسها.